التمايز في شرح العقيدة المسيحية

(١)

بين الأرثوذكس؛ وبين الشرق والغرب

دكتور

رؤوف إدوارد

٢٠١٧

التمايز في شرح العقيدة المسيحية (١)

بين الأرثوذكس؛ وبين الشرق والغرب

الله كلم الآباء (بالأنبياء) بأنواع وطرق كثيرة (عب ١). فإن الإدراك الإنساني له مستويات مختلفة. ولا يمكن أن يتفق الكل على ما يدركه كل واحد علي حدة، ولكن الكل يتفق على الهدف أو الغاية التي لأجلها وُضِعَت العقيدة.

إن الله الذي رسم نفسه في خليقته، هو الذي طبعها على التنوع لأنه مثلث الأقانيم. فتثليث الأقانيم هو مصدر التنوع: تنوع المواهب، تنوع الخليقة، وتنوع الوجود نفسه (مادي. روحي. وما نكتشفه في مستقبل الأيام). لذا فالتنوع ضرورة، و هو أساس الحرية في كيان الله و بالتالي حرية الإنسان لأن الله خلقه علي صورته في الحرية.

الله هو جوهر واحدٍ مساويٍ و غير منقسمٍ بين أقانيم / أشخاص ثلاثة متمايزة. هذا الجوهر الإلهي الواحد هو الغِنَى المطلق الذي منه يأتي كل غِنَى. فأقانيم الله فيها تمايز، ولذلك إختلفت الأسماء الإلهية: الآب غير الإبن غير الروح القدس. وصفات جوهر الله مُعلَنة بصورة مُطلقة في الأقانيم الثلاثة. والمحبة هي أهم صفات جوهر الله. والمحبة لها غاية تسعي إليها وهي الإتحاد بالآخر. والإتحاد الحقيقي هو بين من يتمايزون. لذلك بدون التنوع لا مكان للمحبة.

إن شرح العقيدة الأرثوذكسية، هو شرح متعدد لحقيقة واحدة وتعليم واحد، صاغه قانون الإيمان وإجتهد الآباء معلمو الكنيسة في شرحه بطرق متنوعة، من أجل الإحتفاظ بالفروق الفردية و خصائص حياة كل شخص. هذا نراه في الإنجيليين الأربعة؛ كتبوا أربعة أناجيل متنوعة عن المسيح الواحد. ونجد أيضاً أن الروح القدس يمنح مواهب متنوعة، مع أن الرب الواحد هو الذي يوزع هذه المواهب.

و في النهاية نقول، إن التنوع هو مصدر الوحدة، فنحن نتحد بما نختلف عليه، و هذا مجال المحبة وغايتها. و ما نختلف عليه هو ما يجعل تمايز كل شخص سبباً للوحدة؛ لأننا نتحد بمن هو مختلِف عنَّا في فهم وإدراك المعاني الكامنة في النصوص المقدسة. وهكذا تتحد الكنيسة في تنوع الشرح لأنها تسمح بالحرية وبتعدد الرؤي، لكي ينمو كل إنسان حسب فهمه وحسب الهدف الذي تحدده العقيدة.

وما يُلفت النظر هنا، هو إتفاق هذه الشروح المتنوعة وإنسجامها مع ليتورجية (صلوات) الكنيسة. وهذا هو ما حفظ وحدتها، و أكد أن الإيمان واحد.

و**بالنسبة للعقيدة المسيحية عامةً** فهي واحدة من حيث أن الأرثوذكس والكاثوليك والبروتستانت يؤمنون بالتثليث والتوحيد، وبالتجسد الإلهي، وبمسيح واحد هو إبن الله الظاهر في الجسد، وبالقيامة من الأموات وحياة الدهر الآتي.. إلخ؛ ولكن الشرح لها متعدد.

لقد شرح الغرب العقيدة المسيحية شرحاً عقلياً مؤسساً على الفكر والفلسفة. أما الشرق الأرثوذكسي فقد ركَّز في شرحه للعقيدة المسيحية علي الممارسات الليتورجية (الصلوات والطقوس الكنسية: قداس. معمودية. ميرون....) والحياة النسكية.

ان شرح الغرب (الفكر الأوربي) للعقيدة المسيحية يعكس بالضرورة تطور الفكر الكاثوليكي في العصور الوسطي، و الذي يعتبر المصدر التاريخي و اللاهوتي للفكر البروتستانتي الذي جاء به عصر الاصلاح في القرن السادس عشر.

ولما كان شرح الغرب للعقيدة قائماً على الفلسفة والفكر الإجتماعي السائد آنذاك، لذلك تأثر أيضاً بالفكر السياسي؛ أما الشرق فقد فَصَل بين الفكر السياسي والإيمان المسيحي.

لذلك نجد أن شرح آباء الشرق قد روحن المصطلحات التي كانت سائدة في عصرهم، بينما لاهوت الغرب سيَّس هذه المصطلحات وفسَّرها في إطار القانون.

فبينما إهتم الشرق بالمحبة الإلهية وبالصلاح الإلهي الذي أُعلِن لنا من الآب بالإبن في الروح القدس، لذلك حَفِظَ مفهوم العدل الإلهي كجزء من المحبة الإلهية، و فَهِمَ العدل الإلهي بشكل يختلف عن العدل الأرضي – عدل المحاكم والقانون؛ نجد أن الغرب حصر المحبة في إطار العدل لأن هذا يتفق مع النظام السياسي؛ فالإمبراطو ية المسيحية التي أسسها شارلمان لا تقبل مجانية النعمة.

إن الكنيسة القبطية و منذ القرن العاشر، و بسبب من الغزو العربي لمصر (منتصف القرن السابع) إنقطعت صلتها بفكر آبائها الذين كتبوا باليونانية والقبطية وبدأ التأليف باللغة العربية. هذه الفترة تكاد تكون خلت من نتاج فكري يضمن التواصل مع تسليم الآباء، مما سمح للفكر الكاثوليكي والبروتستانتي للتغلغل بالتدريج منذ مطلع القرن التاسع عشر مع الإرساليات. ولولا إحتماء الكنيسة القبطية بصلواتها – والتي تُعتبر في حد ذاتها أدق صِيَغ تُعبر عن الإيمان، لضاعت إلي الأبد هوية الكنيسة القبطية، و لَفَقَد اللاهوت الأرثوذكسي أعمق مُعَبِّر عنه.

و السبح لله.

د. رءوف ادوارد.